العنوان:	الصلات التجارية بين المسلمين والبيزنطيين فى الفترة ما بين القرنين الثانى والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين
المصدر:	المجلة الليبية للدراسات - دار الزاوية للكتاب - ليبيا
المؤلف الرئيسي:	قرى، ذهبية عاشور
المجلد/العدد:	ع5
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الشهر:	يناير
الصفحات:	63 - 98
رقم MD:	769942
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	العلاقات الدولية، العلاقات التجارية، الدولة الإسلامية، الدولة البيزنطية، العلاقات التجارية الإسلامية البيزنطينية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/769942

الصلات التجارية بين المسلمين والبيزنطيين في الفترة ما بين القرنين

الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين

د. ذهبية عاشور قري

المقدمة

أصبحت الدولة الإسلامية باستيلائها على فارس وريثة النشاط التجاري الفارسي في الهند والصين وغيرها من بلاد الشرق كما أصبحت باستيلائها على الشام ومصر المسيطرة على حوض البحر المتوسط الشرقي فقام المسلمون بالدور التجاري الجديد الذي بنت فيه الدولتان الإسلامية والبيزنطية علاقاتهما على أساس، المصلحة المشتركة والتبادل التجاري، بما يكفل لهما تصريف منتجاتهما.

لكن انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين، وما ترتب على ذلك من نقل عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد البعيدة عن شواطئ البحر المتوسط قلل الاهتمام بشؤون البحر، بعكس الدولة الأموية، إذ نظر العباسيون إلى بعض الموانئ البحرية على أنها حدود ونهايات يقفون عندها لا مجال لنشاط تجاري وسياسي في سيادة البحر فأتاح ذلك للبيزنطيين أن يطوروا أسطولهم التجاري حتى صار لهم دور كبير في تجارة البحر المتوسط، مما سهل عليهم أن يوجهوا التجارة البحرية إلى مراكزهم التجارية.

ولكي يسهل علينا فهم طبيعة الصلات التجارية وخصائصها بين المسلمين والبيزنطيين في هذه الفترة لابد لنا من تقسيم هذا البحث إلى عدة عناصر يتناول العنصر الأول وعنوانه "الموقع الجغرافي وأثره في الصلات التجارية بين الدولتين " ثم تعرضت في العنصر الثاني إلى الأوضاع السياسية بين الدولتين وأثرها على الصلات

التجارية، وتناولت في العنصر الثالث أهم مراكز التبادل التجاري في ذلك العصر والتي منها بغداد، البصرة، الإسكندرية، الأندلس، والقسطنطينية وطرابزون وسالونيك وغيرها من المدن التي لعبت دور في نشاط التجارة بين الدولتين.

أما في العنصر الرابع فقد تطرقت إلى "مظاهر التبادل التجاري" والتي تشمل أهم السلع المصدرة والواردة بين المسلمين والبيزنطيين والتي من أهمها الخشب، الرقيق، التوابل، البخور والمنسوجات الحريرية وغيرها من السلع التي كان لها دور في نشاط الصلات التجارية بين الشرق والغرب، كما تناولت في هذا العنصر "المكوس" أي الضرائب التي كانت تفرض على هذه السلع أثناء مرورها بين الطرفين.

وتعرضت في العنصر الخامس إلى "وسطاء التجارة" الذين كان لهم دوراً كبيراً في هذه الصلات، إذ ساهموا مساهمة كبير في نشاط التجارة، وكان أغلبهم من المسيحيين، واليهود، والخزر.

وأخيراً تناولت في العنصر السادس "الطرق التجارية" والتي كانت تشمل طرق برية، وطرق بحرية، وأهميتها في نقل البضائع بين الدولتين.

1- **الموقع الجغرافي وأثره على الصلات التجارية بين الدولتين**:

أ- الدولة الإسلامية:

كان للعامل الجغرافي المتمثل في الموقع الذي امتازت به عاصمة دولة الخلافة العباسية "بغداد" وهو وقوعها على ضفتي دجلة والفرات، دور مهم في دعم مركزها التجاري إذ سهل اتصالها بآسيا الصغرى، وسوريا، والجزيرة العربية، ومصر بينما كانت قوافل آسيا الوسطى تصل بغداد عن طريقي بخارى، وإيران[1]. وقد عبر الخليفة المنصور عن ذلك قائلاً : إنها ((... مشرعة للدنيا كل ما يأتي في دجلة من واسط، والبصرة، والأبلة، والأهواز، وفارس، وعمان، واليمامة، والبحرين، وما يتصل بذلك فإليها ترقى، وبها ترسو. وكذلك ما يأتي من الموصل، وديار ربيعة، وآذربيجان، وأرمينية، مما يحمل في السفن في دجلة ومايأتي من ديار مضر، والرقة، والشأم،

والثغور، ومصر، والمغرب، مما يحمل في السفن في الفرات فيها يحتط وينـزل ومدرجة أهل الجبل وأصبهان وكور خراسان...))[2]. وفي مقام آخر نبهه بعض مستشاريه إلى أهمية موقعها قائلين : ((... ثم أن الميرة تأتيك في دجلة من ديار بكر تارة ومن البحر، والهند، والصين، والبصرة، وفي الفرات، من الرقة، والشام، وتجيئك الميرة أيضاً من خراسان وبلاد العجم في شرق تامراء[3]. وأنت يا أمير المؤمنين بين أنهار لايصل عدوك إليك إلا على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر أو أخربت القنطرة لم يصل إليك عدوك. وانت متوسط للبصرة، والكوفة، و واسط، والموصل، والسواد، وأنت قريب من البر والبحر والجبل))[4]. وسواء أصحت هاتان الروايتان، أم كانتا من ابتكار الرواة، فهما دليلان على ما ان لموقع بغداد الجغرافي من أهمية من الناحيتين : الاستراتيجية والاقتصادية.

حظيت بغداد بشبكة من الطرق التجارية سهلت الاتصال بينها وبين الهند والصين وغيرها من بلاد الشرق من جهة، وبينها وبين أوربا من جهة أخرى. وهذا ما جعل لها أهمية دولية كبيرة إذ كانت الدولة في العصر العباسي تشرف على عدة بحار: البحر المتوسط والبحر الأحمر، والبحر الأسود، والخليج العربي. ومن خلال هذا الموقع سيطرت الدولة العباسية على أغلب المناطق الحيوية مما جعلها تدخل في صراع مع الدولة البيزنطية حول الساحل الشرقي للبحر المتوسط والمداخل المباشرة إلى أوربا[5].

ب- الدولة البيزنطية:

قدر للدولة البيزنطية أن تتمتع بازدهار اقتصادي عظيم، بسبب موقعها الجغرافي، إذ كانت القسطنطينية حلقة الوصل بين قارتي آسيا وأوربا. وفيها التقت جميع الطرق التجارية من الشمال، والجنوب، والشرق والغرب. وعبر القلقشندي عن أهمية موقعها وازدهار تجارتها فقال :

((واكتناف البحر لها من كل جانب بحيث يحمل إليها على ظهره كل شيء مما لايوجد فيها... فبلاد الروم إذا غلت وأقحطت كانت كسعر الشام إذا اقبل وارخص))[6].

تمتعت القسطنطينية بموقع تجاري ممتاز، صالح لحماية سفنها ومنشآتها البحرية، فكان لها من بحر إيجه حتى مضيق الدردنيل بما فيه من جزر وخلجان نطاقاً يحميها من هجمات العدو، وكان بحر مرمرة حاجزاً مائياً منيعاً ثم يأتي البحر الأسود وهو منطقة خلفية ليست في متناول تهديد المسلمين.

2- **الأوضاع السياسية وأثرها على الصلات التجارية**:

اتسمت العلاقات بين الدولتين العباسية والبيزنطية بالطابع الحربي منذ انتزاع المسلمين الشام إبان حركة الفتوحات الأولى في معظمها حرباً حدودية نتيجة للظروف الداخلية للدولتين الإسلامية والبيزنطية، كحوادث الفتنة الكبرى التي شغلت المسلمين عن مواصلة الفتح. لكن هذا الوضع تبدل منذ قيام الدولة الأموية التي عادت إلى انتهاج الخطة الهجومية على البيزنطيين، حتى اجتاحت جيوشها أراضيهم وحاصرت القسطنطينية نفسها أكثر من مرة. وبالمقابل كانت بيزنطة تمر في عصر الأسر الحاكمة القوية بأطوار قوة عرفت في التاريخ البيزنطي بفترات الصحوة مثل عصر الأسرة الأيسورية " 99-186هـ/717-802 م " وغيرها وكانت تسعى خلال كل فترة منها لشن هجوم كبير على المسلمين لاستعادة ما انتزعوه منها من أقاليم. ومنذ سقوط الدولة الأموية " 132هـ/750 م " وقيام الدولة العباسية، بدأ عصر جديد في الدولة الإسلامية يختلف في كثير من خصائصه عن العصر الأموي الذي سبقه، فقد صاحب قيام الدولة العباسية انتهاء الشعور بالانتماء إلى عالم البحر المتوسط، وبعبارة أخرى فإن العباسيين غيروا اتجاههم من البحر المتوسط وتطلعوا إلى جهة الشرق[7] فالمؤثرات الفارسية التي كان لها دور مهم في قيام الدولة العباسية، ازدادت وضوحاً، بعد ذلك فرضت عليها نقل عاصمة الدولة الإسلامية من دمشق إلى بغداد القريبة من فارس، فضعف بذلك الأثر الهيلينستي في الحضارة الإسلامية، في حين ازداد فيها أثر الحضارات الشرقية كالفارسية والهندية[8]. وترتب أيضاً على الاتجاه شرقاً حدوث تغير في سياسة الخلفاء العباسيين تجاه البيزنطيين. فأصبحت شواطئ البحر المتوسط

بالنسبة للعباسيين بمثابة حدود ونهايات، ينبغي الدفاع عنها لا أبواب وثغور يقفز منها إلى ما وراء هذا البحر من بلدان. كما ترتب على بعد عاصمة دولتهم عن ساحل البحر أن قل اهتمام الخلفاء بدعم الأسطول الإسلامي في البحر[9] ونتيجة للضعف الذي لحق به، غلب الطابع البري على العمليات الحربية العباسية ضد البيزنطيين وقد تمثل ذلك في حملات موسمية، تخترق الحدود البيزنطية في تواريخ محدودة، عرفت باسم المصائف والمشاتي.

وقد دار الصراع العباسي البيزنطي في هذه الفترة حول المناطق التي تتكون من سلسلتي جبال طوروس وطوروس الداخلية "Anti Taurus" والتي تبدأ من الفرات حتى حدود قيلقية. يعد جبل اللكام " الأمانوس " "Amanus" واحداً من مجموعة طوروس الداخلة ويحمي الثغور هنا خط طويل من القلاع يبدأ من ملطية "Melitine" على الفرات الأعلى إلى طرسوس "Tarse" بالقرب من ساحل البحر المتوسط. وشهدت هذه المناطق اصطدامات مستمرة تقريباً[10] ولم تتوغل أي من الدولتين – إلا نادراً – في أراضي الدولة الأخرى، وكانت الصفة الغالبة على تلك الغارات الاستيلاء على معاقل جبال طوروس والتخلي عنها حسب مد الحرب وجزرها، وإن أسفر البعض منها على وجه الخصوص عن تخريب بعض المدن المهمة[11].

لم تؤثر الغارات الحربية في موقف كلا الدولتين من نشاطهما التجاري، وظلت الحدود بينهما ثابتة بالرغم من تفاوت الحرب ونتائجها.

وسمحت فترات السلم بين الدولتين بتكوين علاقات تجارية نشيطة فوفدت أعداد كبيرة من المسلمين على القسطنطينية، مما دعا المسلمين إلى إنشاء مقر لهم يجتمعون فيه[12]. ولذلك خصصت بيزنطة وكالتين للتجارة مع المسلمين إحداهما لتجار الحرير الفاخر، والأخرى لتجار التوابل والعطور، التي يرجع الفضل فيهما إلى التجارة الإسلامية، فالسلع الشرقية التي يقوم المسلمون في تجارتها بدور الوسيط، هي السلع التي ساهمت في قوة الاقتصاد البيزنطي[13].

وكان للسفارات أثر طيب في انعاش العلاقات التجارية ؛ ومن هذه السفارات تلك التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي ليو الرابع " 158-164هـ/775-780 م " إلى الخليفة العباسي المهدي فقد حضر السفير البيزنطي إلى بغداد، وكان اسمه البطريق طافات بن الليث بن العيزار بن طريف بن توق بن مورق، وقد قدم هذا السفير من أجل تهنئة الخليفة المهدي على توليه الخلافة سنة " 158-169هـ/775-785 م " فأمر الخليفة وزيره الفضل بن الربيع بإكرامه والتجول معه في أرجاء عاصمة الخلافة، فمر السفير أثناء تنزهه بموضع يسمى " الأرحاء "[14] فطلب من الوزير أن يقرضه خمسمائة ألف درهم، حتى يبني بها مستغلاً لأمير المؤمنين يعود عليه بربح قدره خمسمائة ألف درهم في السنة، فأعلم الوزير الخليفة بما دار بينه وبين السفير، فأمره بمنح السفير ما يريد، فبنى السفير الأرحاء المعروف بأرحاء البطريق، فكان الخليفة يرسل إليه أرباح ذلك المستغل، إلى أن مات سنة " 163هـ/780 م " حيث ضمها الخليفة إلى حيازته[15]. وكان من نتائج تبادل السفارات أيضاً توقيع الهدنة بين الدولتين كما حدث في عهد كل من الخلفاء المهدي، والهادي، والرشيد، ومعاصرتهم الإمبراطورة إيرين ؛ حيث تمت المهادنة بينهم وبينها[16]. وبلغ الأمر بعد خلعها وتولى الإمبراطور نقفور عرش الدولة البيزنطية أن فرض الخليفة هارون عليه غرامة مالية، نقش اسم الرشيد على أحد وجهيها، وعلى الوجه الآخر اسم الأمين والمأمون[17].

وفي سنة " 217هـ/831 م " أرسل الإمبراطور ثيوفيل كتاباً إلى الخليفة المأمون، يطلب فيه المصالحة وفك الأسرى وإعادة الحياة الاقتصادية والتبادل التجاري بين الدولتين، وجاء فيه : ((... وقد كنت كتبت إليك داعياً إلى المسالمة، راغباً في فضيلة المهادنة، لتضع أوزار الحرب عنا، ونكون كل واحد لكل واحد ولياً وحزباً مع اتصال المرافق والفسح في المتاجر، وفك المستأسر و أمن الطرق...))[18]. نفهم من النص أن هذه الرسالة لم تكن الأولى، بل سبقتها رسائل أخرى، يطلب فيها الإمبراطور توثيق الصلات التجارية مع المسلمين، مما يؤكد الأهمية الكبرى لمثل هذا التبادل، وأن

حدة العداء السياسي بين الدولتين قلت أمام ضرورات الاتصال التجاري. وقد استجاب الخليفة لطلب الإمبراطور برسالة جاء فيها : ((أما بعد فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة، ودعوت إليه من الموادعة، وخلطت فيه من اللين والشدة، مما استعطفت به من شرح المتاجر، واتصال المرافق، وفك الأساري، ورفع القتل والقتال ...))[19].

فقد استجاب الخليفة لهذا العرض الرائع، حتى تتوسع العلاقات التجارية بين الدولتين، ويضمن الأمن والأمان في الطرقات، فلا سطو ولا قطاع طرق، إنما هي الطرق الآمنة البعيدة عن الاضطراب والمكاره للسائرين فيها. وهكذا درجت الدولتان العباسية والبيزنطية على تبادل السفارات، مما يدل على أن الاتصال السياسي والتجاري بينهما كان واسعاً ولعل السبب في ذلك يعود إلى ما تمتعت به الدولة البيزنطية من ازدهار وثراء علاوة على أنها لم تكن تستطيع الاستغناء عن المنتجات الشرقية، التي كان المسلمون يأتون بها من الهند والصين بالإضافة إلى أن المسلمين كانت لديهم الرغبة الشديدة في وجود مثل ذلك الاتصال مع البيزنطيين لحاجتهم إلى التبادل التجاري معهم. وقد لاحظ المقدسي ذلك وتحدث عن أهمية القسطنطينية التي كان للمسلمين بها دار، يجتمعون فيها ويظهرون الإسلام بها وأكد أهمية الصلات التجارية مع القسطنطينية فقال : ((... فرأيت أن أصور ذلك للعيون، و أوضحه للقلوب وأذكر الطرق إليها لحاجة المسلمين إلى ذلك وقصدهم في شراء الأساري والرسالات والغزو والتجارات ...))[20] .

3-**المراكز التجارية**:

أ- بغداد

ازدهرت التجارة في الدولة العباسية، وشهدت مدن بغداد والبصرة والكوفة ازدهاراً عظيماً، وقد كانت بغداد تمد هذه المدن جميعاً بما تحتاج إليه من المحاصيل الزراعية لاسيما التمر والقمح الشعير [21].

وعندما بني الخليفة أبو جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م) بغداد نظمت فيها المتاجر تحت صفوف الأقواس ونظمت على طول أربعة شوارع متقطعة وسرعان ما اتضح صغرها وضيقها وهذا الضيق كان سبباً في توسيع المدينة باتجاهين اتجاه شرقي واتجاه جنوبي حيث تمتد ضاحية الكرخ التي تقع فيها المتاجر[22]، وهكذا أصبحت مدينة بغداد في ذلك العصر أعظم مدن العالم[23]. إذ جعل منها العباسيين عاصمة سياسية وسوقاً تجارية عالمية وعاشوا حياة الترف والأبهة التي كانت سبباً غير مباشر في تنشيط التجارة بين عاصمتهم وغيرها من المدن[24].

وازدهرت أسواقها بأنواع الأمتعة والسلع حتى أصبح ميناؤها يعج بحركة السفن النهرية وقصدها التجار من اطراف بعيدة لممارسة التجارة[25].

وكان الذي يمر بأسواقها في ذلك الوقت يسمع لغات ولهجات أجنبية مختلفة بين الباعة والصناع[26]. وقد كانت اللغة العربية بين كل تلك اللغات لغة التجارة والنشاط الاقتصادي[27]. كما خصصت أحياء لأقليات كثيرة منها حي الروم الذي يسكنه جماعة من البيزنطيين لغرض التجارة[28]. بينما خصصت محلة الحربية للتجار الأجانب، وقد عرفت بهذا الاسم لأنها كانت معسكراً للقائد حرب بن عبد الله البلخي مولى أبي جعفر المنصور[29]. وهذا يؤكد أن عدد التجار البيزنطيين في الدولة العباسية كان كبيراً بحيث خصص لهم حي خاص، بعكس باقي التجار الأجانب.

ب- مدينة البصرة :

تعد مدينة البصرة من أهم موانى الخليج العربي[30] ومن أهم المحطات التجارية على شواطئ الجزيرة العربية وقد شهدت ازدهاراً تجارياً سريعاً[31] واشتهرت بنشاطها التجاري الكبير في العصر العباسي الأول وبلغت اوج عظمتها في عصر الخليفة هارون الرشيد إذ كانت مستودعاً كبيراً للتجارة مع المحيط الهندي وكانت تمثل باب بغداد الكبير ومركز ايجار واستقبال السفن المحملة بكافة السلع الخاصة بالتجارة الشرقية في حين كان ميناؤها الأبلة بداية الطريق البحري نحو الهند

والصين[32] وقد وصف الجاحظ مدينة البصرة في فترة حياته بقوله : العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق"[33] وأشار المقدسي إلى تجارتها قائلاً: "الم تسمع بخز البصرة وبزها وطوائفها وبارزها هي معدن اللالي والجواهر[34] وموقع مدينة البصرة يشبه إلى حد ما موقع مدينة بغداد"[35] وتعد البصرة مرفأ استيراد للتجارة الشرقية وأهم ميناء لتصدير السلع الزراعية المنتجة في سواد العراق وبالرغم من الشك في أن تكون البصرة قد اثرت تأثيراً مباشراً في حركة التجارة العالمية إذ كانت قائمة على قناة اصطناعية يستحيل على سفن البحار العالمية عبورها فقد حظيت بنصيب كبير من تلك التجارة إذ كانت مستودعاً كبيراً لتجارة المحيط الهندي[36].

ج- الأندلس :

كان لانقطاع أهل الاندلس عن المشرق الاسلامي بحكم موقع بلادهم المتطرف في اقصى الغرب اعظم الأثر في تطلعهم نحو المشرق الاسلامي وسعيهم للرحلة الشرقية لأغراض اقتصادية[37] وتعد مدينة المرية من اشهر مواني الاندلس[38]، وكانت تسمى ببرج المراقبة في البحر المتوسط وبقيام هذه المدينة انفتحت التجارة في البحر المتوسط وعلى المحيط الاطلسي وكانت إلى جانب كونها ميناء مركزاً تجارياً نشيطاً[39]، وقد شهدت اسواق مدينة المرية مختلف الصناعات من انسجة حريرية[40] وحلل موشية تعجب من حسن صناعاتها أهل الشرق اذا راوا شيئا منها[41]، وفي المرية أيضاً تقع احواض كبيرة لبناء السفن كانت سبباً في نمو صناعة الخشب والحديد والقماش الذي تصنع منه اشرعة السفن[42]، وتعتبر هذه المدينة محطة للسفن، ودار للتجارة والمسافرين وكانت معروفة بباب الشرق ومفتاح التجارة والرزق[43] واكتسبت المرية شهرة منذ انشائها ميناء للتجارة العالمية وقد وصفها ياقوت الحموي بانها: "باب الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب..."[44] وعنها قال الادريسي: "...لم يكن بالأندلس كلها ايسر من أهلها مالاً أو اتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات تصريفاً

وادخاراً..."[45] ووصفها ابن حوقل بانها: "... فرضة لأرمينية وبلاد الروم ونواحي ميافارقين[46] وارزن[47] وتصل منها إلى الموصل المراكب مشحونة بالتجارة كالعسل والسمن والمن والجبن واللوز والبندق والزبيب والتين إلى غير ذلك من الأنواع"[48].

د- الاسكندرية :ـ

كانت للإسكندرية مكانة سامية باعتبارها حلقة اتصال بين المغرب والمشرق، فقد نافست الاسكندرية في تلك الفترة بغداد في الزعامة التجارية[49] وارتبطت بالمرية بحراً ارتباطا مباشرا وتعتبر الاسكندرية باب المغرب[50] وميناؤها يعد في مقدمة مواني مصر من حيث الاهمية[51] وقد عرفت الاسكندرية في مختلف العصور بكثرة صناعاتها وتفوقها على غيرها من الصناعات في البلدان الاخرى، وأهم هذه الصناعات صناعة النسيج والخزف والزجاج والسفن والصابون وتعتبر صناعة النسيج أهم الصناعات التي اشتهرت بها هذه المدينة منذ اقدم العصور[52]، وتألقت الاسكندرية في العصر العباسي وأصبحت المركز التجاري الأول، الذي تنفذ إليه السفن التجارية محملة بالسلع الشرقية والغربية، وكانت محطة رئيسية للسفن التجارية القادمة من المغرب والأندلس إلى الشام ومصر[53]، وفي الاسكندرية تنتهي طرق التجارة الشرقية لتبدأ منها الطرق التجارية المتجهة إلى المغرب وقد مثلت هذه المدينة أكبر مركز لتوزيع المنتجات الاسيوية في حوض البحر المتوسط وانشئ بها ميناءاً مجهزاً بأحواض وأرصفة وفنارات ومصانع لصناعة السفن ترسوا بها السفن الكبيرة وتفرغ حمولتها فازدحم ميناؤها بتجارات الشرق والغرب[54]، لقد كان العالم التجاري متمثلاً في الاسكندرية خير تمثيل لذا اطلق عليها عروس البحر المتوسط[55].

هـ- القسطنطينية :-

قامت القسطنطينية بدور الوسيط التجاري بين الدولة العباسية والغرب المسيحي، فكانت موزعاً للمواد الأولية[56]. وسوقاً تجارية مزدهرة، ومن أسواقها سوق " **بيلة** " الذي يقام مرة في أول الربيع من كل عام ويستمر مدة أربعين يوماً وهو من

أشهر الأسواق، يأتيه الناس من المناطق البعيدة، ويبذل التاجر غاية جهده كي يدركه[57]. وكان سوق " **ثيودسيوس** " من أهم الأسواق في تجارة المعادن الثمينة، وقد فرضت الدولة على تجار الذهب والفضة أن يقيموا متاجرهم فيه[58]. وقد وصف" بنيامين الطليطلي" الحركة التجارية في أسواق القسطنطينية وكثرة من يتردد عليها من تجار : العراق، والشام، ومصر، وبلاد فارس، ومن الروس، والبلغار، والخزر، وأسبانيا، فامتلأت أسواقها بالسلع الفاخرة فهي في ازدهارها وثرائها لا يمكن أن تقارن بأي مدينة أخرى باستثناء بغداد[59]. وأثنى المقدسي على جمال أسواقها وكثرة فواكهها، ورخص أسعارها وشبهها بمدينة البصرة، وإن كانت البصرة أصغر منها[60]. واشتهرت " **سالونيك** " بنشاطها التجاري، حيث كان يقام فيها سوق يعرف بسوق القديس " **سانت ديمتريوس** " وهو سوق موسمي يعرض فيه التجار بضائعهم في محلات أقيمت من خشب وقماش سميك، تباع فيه الأقمشة الحريرية المصنوعة من بوؤتيا وكورنث، والجلود والملح الآتية من كارباثيا[61]. وتمتعت " **طرابيزون** " الواقعة على ساحل البحر الأسود بميناء تجاري[62]. يتجمع به التجار ومنه تعبر السلع التجارية كالديباج والبزيون، وثياب الكتان الرومي، وثياب الصوف، والأكسية الرومية إلى الدولة العباسية[63]. وحصلت بيزنطة على أموال طائلة من ذلك الميناء على شكل مكوس وضرائب مثلت مصدراً مهماً من مصادر دخل الدولة. وتشبه معارض وأسواق " طرابيزون " معارض وأسواق " **اللامس** " على الحدود الإسلامية البيزنطية التي كانت توفر فرصاً عظيمة الفائدة، يلتقي فيها ممثلو الدولتين العباسية والبيزنطية بخاصة أثناء تبادل الأسرى بينهما[64].

لأن أسواقها التي تمون الجيوش في حاجة دائمة إلى الخيل، والمواد الغذائية، والملابس، والأسلحة، ومواد البناء. مما جعل هذه المنطقة في حاجة لجهد دائم لأن حصونها كانت تهدم ثم تبنى، ويتم إجلاء سكانها عنها، ثم تعمر مجدداً[65]

لقد جعل البيزنطيون طرابيزون الميناء الوحيد، الذي تدخل منه التجارة العربية إلى أراضي دولتهم، وهذا يعني تحويلهم لتجارة الحرير والتوابل التي يحتاجون إليها، إلى طريق العراق الذي لا يهددهم منه خطر بحري، وبهذا هبطت دمشق إلى مستوى المراكز التجارية من الدرجة الثانية[66]. وانتقلت السلع التجارية من "طرابيزون" إلى القسطنطينية التي كانت أكبر مراكز تصدير التجارة في حوض البحر المتوسط [67]، ومن ثم قام التجار بجلب هذه البضائع إلى الدولة العباسية واشتهرت **سيواس** " **سبسطية** " بكثرة خيراتها وثمارها، وكانت الملتقى الرئيس لمعظم التجار من المسلمين والمسيحيين [4]. وكانت هناك أيضاً موانئ طرسوس والأناضول وأفسوس[68].

كانت الدولة البيزنطية على قدر كبير من الرخاء، فاعتاد التجار المسلمون الذهاب إليها لممارسة التجارة، ونتيجة لنشاطهم التجاري الكثيف كونوا جالية إسلامية وحددت مدة إقامتهم بثلاثة أشهر، وكانت تلك الإقامة في مكان واحد يسمى الخان " **الفندق** "[69]. واشتق اسم الفندق من الكلمة اليونانية "Pandakaion" التي تفيد المعنى نفسه. وهذا يدل على كثرة التعامل والاتصال مما جعل بعض كلمات من لغة تنتقل إلى اللغة الأخرى. يتكون الفندق من طابقين، تعرض في طابقه الأرضي السلع، وفي أعلاه غرف لمبيت التجار[70]. وكان التجار في هذا الفندق يخضعون لمراقبة شديدة من قبل موظفي الدولة في النقابات التجارية وكان عليهم أن يبادروا ببيع ما لديهم من السلع في سرعه وشراء متاجر أخرى. أما مالم يبع من البضاعة، فينبغي على التاجر المسلم أن يخبر به والي المدينة لإجراء ما يلزم للتخلص من الفائض[71].

لقد دفع التشابه بين الدور الذي لعبه " **والي المدينة** " في الأسواق البيزنطية، وبين مهام " المحتسب " في الدولة الإسلامية بعض المستشرقين إلى محاولة ربط وظيفة المحتسب وكتب الحسبة عند المسلمين بما يقابلها عند البيزنطيين، ففي الدولة العباسية كان المحتسب يتولى الإشراف على الأسواق التي تعددت أنواعها فاشتملت على سوق البزازين لبيع الأقمشة والمنسوجات، سوق الجواهر، سوق الغنم، سوق

الصيارفة، سوق الخبازين، سوق العطارين وغيرها من الأسواق[72]. ومن واجبات المحتسب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراقبة الباعة، ومنعهم من التلاعب بالأسعار، والموازين، والمكاييل، والمقاييس. فهو بذلك يعمل على منع التجار من الغش، والغبن، والفحش، والخيانة، بين الناس في معاملاتهم، ومبايعاتهم، والتنبيه عليها[73]. وإذا اراد المحتسب أن يكون عمله أكثر دقة في ضبط المخالفين، عين على كل صنعة عريفاً، على أن يكون هذا العريف على اتصال دائم بالمحتسب يوافيه بأخبار ما يجلب إلى السوق من المتاجر، وأسعارها[74]. ويقدم هذه المعلومات في تقارير إلى المحتسب الذي من واجباته أيضاً منع الاحتكار أي تخزين الطعام حتى يأتي وقت غلاء سعره فيضطر الناس لشرائه لحاجاتهم له[75] .

وكان ذلك هو شأن الأوضاع التجارية في الدولة البيزنطية، فتعددت أسواقها وانتظمت فيما يعرف بالنقابات التجارية التي تتمثل في نوعين : نوع يعمل على سد حاجات الأسواق المحلية، وتوفير أسباب الحياة للناس مثل نقابة الخبازين، الجزارين، الخياطين، الحدادين وغيرها. ونوع آخر تعد صناعته للتصدير، ويخضع هذا النوع لسلطة الحكومة وسيطرتها مثل صناعة الأقمشة الحريرية، والأسلحة والمتاجرة في الرقيق، وقد اشتمل تشريع النقابات على مبادئ تؤدي إلى الاستقرار التجاري، والرقابة على السلع التجارية، وتهيئة الفرص لاتساع التجارة. مثلما اتخذ المحتسب في الدولة العباسية عريفاً عين والي المدينة مندوباً للإشراف الدقيق على ما تمارسه النقابات التجارية من أعمال، والتفتيش على الموازين، والمكاييل، وفحص السلع. وعلى والي المدينة منع مزاولة النشاط التجاري أيام الأعياد والآحاد كما كان يمنع التجار من تخزين السلع لأوقات الشدة ؛ كي يجنوا من وراء ذلك ربحاً فاحشاً[76]. وهو ما يعرف في التاريخ الاقتصادي الإسلامي بالتاجر الخزان[77] كما ينهى عن رفع الأسعار، حتى لا تتجاوز الحد المناسب، ويتعرض من يخالف هذه القوانين لعقوبات مختلفة، كالجلد، وقص الشعر، ومصادرة ما أختزنه من السلع[78] .

4- **مظاهر التبادل التجاري**:

أ- السلع الصادرة :ـ

كان لموقع الدولة العباسية الجغرافي والذي تمثل في وجود الانهار وخصوبة التربة الأثر الواضح في ازدهار الزراعة بالدولة فأصبحت تتمتع بخيرات وفيرة أدت إلى تطور اسواقها فتنوعت فيها السلع التجارية سواء كانت زراعية أم صناعية، كما وصلت إليها العديد من منتجات الهند والصين وكذلك سواحل أفريقيا الشرقية[79]، ومن السلع التجارية المهمة التي صدرتها الدولة العباسية الحرير، وقد صدرته لمختلف الدول وخاصة بيزنطة وهذا الحرير يقوم اساساً انتاجه على زراعة التوت وتربية دودة الحرير فقد كان للحرير أهمية خاصة في الدولة البيزنطية إذ أن ملابس الإمبراطور والطبقة الارستقراطية تصنع منه[80]، ولقد كان التجار المسلمين يتجاوبون مع الحاجات الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها من السلع التجارية الثقيلة الوزن مثل الملح والسكر وسائر المنتجات الشرقية[81] فمن بغداد صدرت أيضاً إلى بيزنطة الثياب بأنواعها القطنية والحريرية والمناديل والأقمشة إلى جانب الديباج والاحجار الكريمة واللؤلؤ والعاج والعطور والطيب والابانوس[82]، وتصدر البخور قائمة السلع المصدرة إلى بيزنطة وذلك لان الدولة البيزنطية كانت تستهلك منها كميات كبيرة في مراسمها الدينية والكنائس، وقد استخدمت في مجالس الخلفاء والامراء للمسلمين أيضاً[83]. ولقد كان البخور ضروري للكنائس فحتى رهبان الاديرة رق ذوقهم وطاب مذاقهم حتى أصبح من العسير عليهم الحياة من دونها[84] إلى جانب البخور كان هناك التوابل وخاصة الفلفل الذي كان اكثر هذه التوابل طلبا وارتفع ثمنه ارتفاعا هائلا لندرته ولشدة اقبال الأوروبيين عليه حتى صار هناك مثل شائع في تلك العصور بتشبيهه بالشيء النادر الغالي فيقولون غالي كالفلفل ونتيجة لندرته وارتفاع ثمنه اصبحت له قوة شرائية يتعامل بها في أحوال معينة، فالدقيق يشترى مقابل احمال من الفلفل[85].

ب- السلع الواردة:-

من السلع التي ترد إلى الدولة العباسية من بيزنطة أنواع من الأقمشة الكتانية الرفيعة التي احتفظ البيزنطيون بسر صناعتها والتي تتغير ألوانها بانعكاس الضوء والتي تسمى عند المسلمين "أبوقلمون"[86] كما استورد المسلمين من الدولة البيزنطية التي لعبت دور الوسيط التجاري بين الشمال والجنوب السلع التي تأتي من روسيا ثم تعيد بيزنطة تصديرها إلى المسلمين وتتمثل في فرو الثعالب السود وجلود الخز "الذكر من الأرانب" والوبر والعسل والرقيق[87].

ومن أهم أسواق تجارة الرقيق سوق النخاسة في براغ[88] ، وفردان التي كانت سوقاً كبيراً لتجارة الرقيق ومركزاً للخصاء، كما كانت أرمينية، وسمرقند، وبخارى، مراكز للخصاء ويدخل الرقيق إلى مناطق فرغانة، والشاش، وبلاد ما وراء النهر، ومن هذه المناطق يعاد توزيعه على أسواق بغداد وغيرها في الدولة الإسلامية[89]. وكان طلب الدولة الإسلامية قوياً على الأخشاب، بخاصة في بغداد ومصر وبعض دول شمال أفريقيا الأخرى، فبالإضافة إلى الحاجة للأخشاب في بناء المنازل في المدن ولاستعماله في آلات الري، كانت تلك السلعة ضرورية في بناء السفن التجارية والحربية. وكثيراً ما قامت السفن المصرية والسورية بالإغارة على شواطئ الأناضول ود الماشيا التابعة للدولة البيزنطية للحصول على الخشب[90].

لقد كان الخشب من السلع التجارية التي منعت الدولة البيزنطية تصديرها بخاصة أنها كانت في صراع شبه دائم مع الدولة العباسية، من أجل السيطرة على حوض البحر المتوسط الشرقي. كما حظر الأباطرة على التجار تصدير الأسلحة، لكن التجار البنادقة لم يحترموا قرارات المنع أو الحظر في التجارة، بل إن التجارة في هذه السلع صارت مصدراً للأرباح الطائلة كما هو حال التهريب في جميع العصور أوفر مكسباً من التجارة المشروعة[91]. ومن السلع التي ترد إلى الدولة العباسية من بيزنطة

أنواع معينة من الأقمشة الرفيعة الكتانية التي تستورد من تراقيا ومقدونيا، والمواشي التي تستورد من أرمينية وبيزنطة إلى سوريا[92].

جـ- المكوس:

هي ضريبة تؤخذ عن كل تجارة واردة في البر أو البحر، ولا تؤخذ إلا إذا انتقل التاجر من بلاده إلى بلاد أخرى. وعرفت ضريبة السفن بـ(أعشار السفن) وهي ضريبة على السفن التي تمر ببعض الثغور فيؤخذ منها العشر عيناً. أما العشور فهي ضرائب تؤخذ على بضائع التجار الغرباء، إذا قدموا بها من بلادهم إلى ديار المسلمين وقيمتها عشر بضائعهم، على أن هذه الرسوم غير ثابتة على حال دائم حسب أهواء المسؤولين[93]، ففرضت على التجار المسيحيين الخمس وعلى المسلمين ربع العشر، وتسمى هذه الضريبة بالمكوس[94]، وتسمى أيضاً بالمال الهلالي لأنها تجمع مع هلال كل شهر عربي[95].

بالإضافة إلى اهتمام الدولة بتحصيل هذه الرسوم على الطرق البرية والبحرية، حرصت أيضاً – على تحصيلها في بعض المراكز التجارية المهمة مثل مدينة البصرة وبغداد، وتؤخذ الضرائب – التي تبلغ عادة عشر قيمة البضائع التي تمر بها، بعد أن يجري عليها تفتيش دقيق، وقد أشار المقدسي إلى ذلك بقوله: "وأما الضرائب فثقيلة كثيرة محدثة في النهر والبر وفي البصرة تفتش "تفتيش" صعب وشوكات منكرة وكذلك بالبطائح تقوّم الأمتعة وتفتش"[96]، ووجدت الواردات التي تصل إلى القسطنطينية طريقها إلى أوروبا في سفن التجار البيزنطيين وأصبح هذا البحر أهم المسالك التجارية التي اعتمدت عليه الدولة البيزنطية في تحصيل مكوسها على المتاجر الصادرة منها والواردة إليها، حيث كانت تجني في القسطنطينية نفسها الضرائب على الصادرات، في حين تجمع المكوس على السلع الواردة غرب مدينة أبيدوس "Abydos" على الدردنيل، أو في مدينة هيرون "Hieron" على البسفور[97]، وأعفت الإمبراطورة إيرين الواردات من دفع الرسوم، لكن الإمبراطور نقفور الأول

الذي خلفها على العرش، أعاد الضرائب إلى سابق عهدها، بل زاد عليها وأكد أن البضائع – خاصة الرقيق الذي يبيعه تجار الغرب في أسواق غرب أبيدوس – لا تفلت من الضريبة المفروضة عليها[98].

ومن السلع التجارية التي تدفع عليها الضرائب: التوابل، القطن الخام، الجلود، العاج، الأحجار الكريمة، الأصبغة، الأصواف وأخيراً المتاجرة في الرقيق[99]، وبهذا ضاعفت الدولة من مواردها بتحصيل المكوس في الثغور والرسوم على الأسواق، وذلك باحتكار بعض السلع، وبخاصة الحرير الذي عدته من السلع الخاصة بالإمبراطور نفسه، كما ضاعفت الرسوم على الأسواق. وكان على النقابات التجارية عند فتح السوق دفع عربون أو تأمين، حسب قدرة كل تاجر، ويتولى والي المدينة تقسيم السلع بينهم حسبما أسهم به كل منهم[100].

واعتاد المسلمون – عند القيام بجباية المكوس من السفن – أن يربطوا حبلاً أو سلسلة في سفينتين عند كل جانب من جوانب النهر أو البحر حتى لا تتمكن السفن من اجتياز ذلك الموضع، إلا بعد أن تدفع الضريبة للمكاس وهذا ما يسمى بالمآصر: "جمع مأصر" التي هي سلاسل أو حبال توضع على النهر أو البحر خشية تهريب السلع التجارية إلى خارج الدولة، كما استخدمت أيضاً لغرض جمع المكوس[101].

وعرف الميناء الشرقي في الإسكندرية باسم ميناء السلسلة، بسبب السلسلة التي كانت تعترض بمدخله أثناء الليل، حيث خصص للسفن المسيحية[102]، وكانت قناة منانش بأفريقيا مرفأ لسفن الإسكندرية والشام وصقلية والأندلس، يتسع مرفأها لثلاثين مركباً، وعلى جانبي المرفأ برجان بينهما سلسلة من حديد، فإذا أرادوا إدخال سفينة فيه أرسل حراس البرجين أحد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدوها كما كانت قبل ذلك[103]، وكان على خليج القسطنطينية (بحر مرمرة) سلسلة ممتدة تحول دون عبور البحر إلا بإذن المكاس[104]، وعرفت الأماكن التي تجبي عندها هذه الضريبة باسم المراصد وهي أماكن المراقبة[105].

5- **وسطاء التجارة** :-

أ- المسيحيون :-

كان للمسيحيين نشاط ملحوظ في التجارة ومعظمهم سوريين، كانت لهم السيادة في التجارة بين الشرق والغرب وقد قامت تجارتهم على استيراد السلع وتوزيعها في الغرب الاوروبي ومراكزهم التجارية كانت في الشرق(106)، ولقد كان لهم النصيب الأكبر من عبء التجارة في البحر المتوسط ولهم حالياً متاجر في كل مواني هذا البحر في الكثير من البلدان الهامة في الداخل، وقد ذكروا في بعض المصادر والنصوص بالمشارقة(107) وان أهم ما كان التجار يحرصون على نقله من البضائع الشرقية التوابل وخاصة الفلفل فقد كان الناس لا يستغنون عنه في تهيئة طعامهم، والصنف الثاني كان ورق البردي، والثالث هو الزيت. ومن الواضح أن سفنهم وقوافلهم كانت تحمل بضائع أخرى لدى عودتها وأهم ما كانت تحمله الرقيق(108)، وكانت الخطوط الرئيسية لشبكة العلاقات التجارية التي تربط المراكز المسيحية بعضها ببعض شبكة تتصل اتصالاً وثيقاً بالحج في بيت المقدس والأماكن الدينية إلا أن المسيحيين لم يستمروا طويلاً سادة التجارة بين الشرق والغرب إذ أن التجار اليهود ابعدوهم تدريجياً عن التجارة البحرية في البحر المتوسط والمحيط الهندي فلم تبق لهم أهمية إلا في التجارة البرية في كل من مصر وسوريا وبلاد ما بين النهرين وارمينية وإيران وآسيا الوسطى.(109)

ب- اليهود:

ازدادت أهمية دور اليهود في التجارة، لأن الكنيسة أدانت ممارسة التجارة للأفراد الذين ليس لهم مكاناً في النظام الاجتماعي في مجتمع زراعي وإقطاعي، ولما كان اليهود ممن لم يكن من حقهم أن يمتلكوا أرضاً، ركزوا جل نشاطهم في التجارة، فكانوا يتنقلون من بلد إلى آخر ببضائعهم(110)، وقد تعرضت أغلب الجماعات اليهودية إلى الاضطهاد، مما أضطرها إلى الهجرة إلى البلاد الإسلامية وعملت الدولة

البيزنطية على نفي الكثير منهم من القدس على وجه الخصوص، وعمدت إلى حمل آخرين على اعتناق المسيحية بالقوة. وفر اليهود المقيمون في صقلية من سيطرة بيزنطة[111]، وفرضت قيود على من بقى منهم، حيث منعوا من شراء الحرير الخام حتى لا يقوموا بتهريبه، وبسبب التعصب الديني منع اليهود في بيزنطة، وغرب أوروبا من الالتحاق بالنقابات التجارية، بينما جاز لهم ذلك في الدولة الإسلامية. وأقام اليهود في بيزنطة في أحياء خاصة على أنهم جاليات أجنبية[112]، وبالرغم من تناثر تلك الجماعات في بقاع مختلفة، إلا أن شعورها بالاضطهاد والأقلية، قوي من إحساسها بضرورة تقوية سبل الاتصال، وخلق روابط متينة بينها، الأمر الذي ساعد على تكوين طبقة من التجار دفعتهم روح تأكيد الذات وحب الكسب إلى العمل على تطوير وتحسين أساليبهم التجارية وكانت تلك الجماعات مهيأة لتلعب دوراً مهماً في التجارة العالمية واتخذت من بغداد مركزاً لممارسة ذلك النشاط وأقامت في حي "الكرخ" كما خصصت لهم أحياء في باقي من الدولة الإسلامية وذلك من أجل سهولة مراقبتهم. كما كان لهم رسل ينبهونهم إلى وصول القوافل التجارية، ونوعية السلع التي تنقلها. وسهلت مراكز اليهود التجارية القديمة وخبرتهم، مهمتهم للقيام بدور تجاري مهم في العصر الإسلامي فحلوا محل منافسيهم من المسيحيين في التجارة[113].

لقد كانت التجارتان البرية والبحرية من اختصاص اليهود الراذانية "الرهذانية"، الذين كانوا يشكلون عدة جماعات موزعة على ضفاف أنهار: الموز، والصاوم، والرون، من فردان وليون حتى آرل، ونربونة الميناء الكبير[114]، وشمال أفريقيا، ومناطق معينة من آسيا وبيزنطة واعتمدوا في تجارتهم على بضائع الترف "الكماليات" مثل الأحجار الكريمة، والآلي، والأدوات الفضية، والحرائر، والمنسوجات الفاخرة، والسجاجيد، وكذلك تجارة الحبوب والسكر، وتجارة التوابل والعقاقير الطبية، والذهب، والمتاجرة بالرقيق من بلاد الصقالبة، ودالماشيا عن طريق تجار إيطاليين، أو صقالبة من بلدان أوروبا الوسطى، أو من أواسط آسيا[115].

واشتهر هؤلاء اليهود بمعرفتهم الطرق التجارية فهم يسافرون من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق براً وبحراً كما اشتهروا بإتقانهم عدة لغات كالعربية، والفارسية، والرومية، والفرنجية، والأندلسية، والصقلبية[116]، وكثيراً ما حصل التجار اليهود على إعفاءات ضريبية بالكتابة وتقديم التماس بالخصوص إلى الخليفة العباسي[117].

ج- الخزر:

لعب الخزر: الذين قامت دولتهم جنوب روسيا عند حوض نهر الفولجا – دور الوسيط التجاري على طول طريق وسط آسيا فقد كان هؤلاء الخزر حلفاء مخلصين للدولة البيزنطية، وقد أتاحت هذه التحالفات للبيزنطيين أن يجدوا طرقاً أخرى بخاصة أن دولة الخزر تقوم أساساً على التجارة[118]، فيجلبون من أرثا[119] السمور الأسود والرصاص وتنقل هذه السلع إلى البيزنطيين، أي أن الخزر كانوا وسطاء التجارة بين الروس والبيزنطيين وبين الدولة العباسية وشرق أوروبا، وبلغ من قوتهم أنهم فرضوا ضريبة العشر على جميع الواردات التي يصدرونها للبيزنطيين[120]، وقسمت عاصمتهم أتل "ATL" إلى قسمين: يسكن الملك وحاشيته القسم الغربي، وخصص القسم الشرقي للمسلمين ومتاجرهم[121]، ووصف المسعودي الحركة التجارية في عاصمتهم التي تشرف على نهر الخزر قائلاً: "وتجرى في هذا النهر السفن العظام بالتجارات وأنواع الأمتعة من بلاد الخوارزم وغيرها، ومن بلاد برطاس[122]، تحمل جلود الثعالب السود وهي أفضل الأوبار وأكثرها ثمناً ومنها الأحمر والأبيض الذي لا يفضل بينه وبين الفنك والخلنجي[123]، وشرها المعروف بلا عرابي وليس يوجد الأسود منها في العالم إلا في هذا الصقع ويتباهي ملوك الأمم من الأعاجم بلبس هذه الجلود ويتخذ منها القلابس والفراء ويبلغ الأسود منها الثمن الكثير وربما يحمل إلى أرض الصقالبة ثم إلى بلاد الفرنجة والأندلس ويصار بهذه الجلود من السود والحمر إلى بلاد المغرب..." [124].

ومن خرسون قام الخزر بتصدير السلع البيزنطية مثل الحرير والتوابل إلى روسيا وممتلكاتها، وظل ثغر خرسون أكبر منفذ لتجارة الفراء، والرقيق، وسائر المنتجات الروسية التي خضعت لإشراف الخزر وتحكمهم كوسطاء ونتيجة لأهمية هذه التجارة ازدادت أهمية المراكز التجارية الروسية مثل نفجورود[125]، وكيف "كوباية"، التي تكمن أهميتها في تحكمها في حوض نهر الدنيبر، مما جعلها تتحكم أيضاً في الطريق المؤدي إلى البحر الأسود وبيزنطة[126].

6- **الطرق التجارية**:

أدى اتساع الدولة العباسية، وتطورها الحضاري إلى مساهمتها في قيام تجارة عالمية، كان من سماتها أن أصبحت بغداد إحدى المدن العالمية الكبرى، وقد سلكت هذه التجارة طرقاً برية وبحرية نقلت عن طريقها توابل الشرق وحريره وسائر منتجاته إلى القسطنطينية ودول البحر المتوسط، فالطرق البرية ارتبطت بوادي الفرات، والدولة البيزنطية، أما الطرق البحرية فقد كانت آتية من الخليج العربي حيث تنتقل منتجات سيلان، والهند والصين، وأخيراً الإسكندرية، وموانئ البحر الأحمر، التي تمثل نهايات الطرق البحرية الآتية من أثيوبيا والميناء الكبير في أدوليس[127]: وهي من موانئ البحر الأحمر التي تقع في الجنوب على الشاطئ الأفريقي[128]، تحفظ فيها القوافل القادمة من أكسوم "الحبشة" أحمالها التي جاءت بها من دواخل أفريقيا، والطريق الآخر الذي يمر بواحات الجزيرة العربية إلى سيلان نقطة تجميع المتاجر الآتية من الهند وأقاصي الشرق[129].

وبهذا نجد أن معظم الطرق التجارية كانت تمر بأراضي الدولة العباسية وكان على القوافل أن تدفع مكوساً للخليفة العباسي قبل أن تصل إلى القسطنطينية التي كانت مركزاً للأسواق التجارية في أوربا الشرقية، فكان من الطبيعي أن تكون الرغبة في السيطرة

على طرق التجارة سبباً في الصراع بين الدولتين، ذلك الصراع الذي غلب على العلاقات العباسية البيزنطية، وجعلها تتسم بعدم الاستقرار والتأرجح بين الحرب والسلم[130].

أ- الطرق البرية:

سلكت التجارة في العصر العباسي الأول الطريق البري، فسارت من الرقة إلى دمشق واقتربت من الساحل فقط عند جنوب فلسطين – وحدث هذا أيضاً في معظم الطرق بين مصر وبقية بلدان المغرب العربي، إذ لم تتبع التجارة الطرق الرومانية الساحلية في ذلك الوقت، لكنها سارت إلى الداخل حيث الواحات الصحراوية، وربما سارت التجارة في هذه الطرق الداخلية، لأن قوة الدولة البيزنطية البحرية مثلت خطراً على استخدام الطرق الساحلية لنقل التجارة من إفريقية إلى مصر. ومما يؤكد هذا الأمر السفارات التي قامت بين الدولة العباسية والدولة الكارولنجية في سنة (184هـ/800م) في فترة حكم شارلمان، إذ سلكت معظم هذه السفارات طرقاً ملتوية من الإسكندرية إلى بلدان المغرب العربي، ثم إلى الموانئ الواقعة تحت سيادة الكارولنجيين في إيطاليا، ومما يؤيد صعوبة الانتقال البحري أنه في سنة "195هـ/801م" أهدى الخليفة هارون الرشيد فيلٍ لشارلمان، وسلك هذا الفيل طريقه براً من مصر إلى المغرب العربي، ومن هناك وضع في سفينة أبحرت به إلى ثغرلوني[131]، "Luni" على خليج سبيزيا "Spezzia" في إقليم إتروريا بإيطاليا[132]، ويقال: أنها أفلتت وهي في طريق عودتها إلى إيطاليا من الوقوع في أسر بعض الأساطيل البيزنطية[133]، وربما عبرت التجارة من فرنسا أو أسبانيا مروراً بالمغرب الأقصى عن طريق طنجة ومنها إلى إفريقية ثم إلى مصر، والرملة[134]، التي تعد مخزناً لبضائع مصر حيث يلتقي البحران الأحمر والمتوسط[135]، ثم إلى دمشق والكوفة، فبغداد ثم إلى البصرة، وفارس، وكرمان، ثم السند، والهند، ومنها إلى الصين، وقد يسلك التجار طريق شمال الدولة البيزنطية إلى الأراضي الروسية، ومنها إلى عاصمة الخزر "أتل"، ثم خورستان وأخيراً الصين. واكتسب هذا الطريق أهمية كبيرة

لوصوله إلى شمال أوربا، إذ يسلك أنهار روسيا إلى بحر البلطيق والبحار الشمالية، وربما كان هذا الطريق بديلاً للطريق الذي يصل إلى إيطاليا، وكان التجار يحملون بضائعهم من هناك على ظهور الإبل إلى بغداد، وهناك يدعون أنهم نصارى ليتمكنوا من دفع الجزية المفروضة على أهل الذمة إذ جازوا بلاد الإسلام وكانوا يستعينون بخدم من الصقالبة ليترجموا عنهم[136].

وهناك طريق بري آخر يعبر إلى الشام ومصر حتى الأندلس، ويبدأ هذا الطريق من بغداد ويمر بالأنبار ثم إلى هيت على نهر الفرات ومنها إلى الرقة، ثم إلى دمشق، طبرية، فالرملة، ومنها إلى غزة، ورفح، والعريش، وبلبيس، وأخيراً إلى الفسطاط، ومن هناك يتجه شمالاً إلى مدينة الإسكندرية ويستمر منها إلى المغرب الأقصى مروراً بمراكز التجارة المهمة في برقة ثم إلى إفريقية ومنها إلى الأندلس بعد عبور المضيق. ويمتد الطريق بعد ذلك إلى بلاد الفرنجة وقد يتجه هذا الطريق من الرقة إلى حلب، ثم إلى قنسرين، ومنها إلى أنطاكيا ثم بيزنطة[137].

ب- الطرق البحرية:

يبدأ الطريق البحري إلى سواحل الشمال الإفريقي بالبحر المتوسط، من البصرة، فيعبر الخليج العربي، وينتهي عند عمان، ثم يدور حول سواحل الجزيرة العربية ماراً بفرق وحاسك، وهي أول مرافئ اليمن، ثم مرباط وهي فرضة لظفار الواقعة بين حضرموت، وعمان، ثم يمر بالشحر[138]، مرفأ حضرموت، وأكبر الموانى في جنوب الجزيرة العربية[139]، ثم بشرمة ولسعا، على ساحل بلاد حضرموت، ثم بأبين في عدن، وتواصل بعض السفن رحلتها عند وصولها ميناء عدن إلى مصر[140].

وهناك طريق آخر اعتاد التجار اليهود أن يسلكوه، ويصل هذا الطريق بين الدولة الإسلامية وأوربا عبر البحر المتوسط إلى بلاد الفرنجة. يبدأ هذا الطريق من مقاطعة "بروفانس" جنوب بلاد الفرنجة "فرنسا". فيعبرون بسفنهم البحر المتوسط إلى ميناء الفرما ثم يحملون تجارتهم على ظهور الإبل إلى القلزم. ومن هناك تعبر سفنهم

البحر الأحمر، مارة بموانيه المهمة مثل الجار وجده، ثم يخرجون إلى بحر العرب متجهين إلى ميناء عدن ويواصلون سيرهم بعد ذلك إلى السند والهند والصين، وفي عودتهم كانوا يحملون معهم سلع الشرق، ثم يعودون من الطريق نفسه إلى القلزم ثم إلى الفرما أو الإسكندرية ويعبرون البحر المتوسط إلى أوربا، أو كانوا يتجهون بتجاراتهم إلى القسطنطينية ليبيعوا بضائعهم هناك(141)، وأحياناً لا يتجهون إلى الفرما عند مجيئهم من أوربا بل إلى السواحل الشرقية للبحر المتوسط، فيتوقفون عند أنطاكية، ثم يحملون بضائعهم على الإبل إلى الجابية، فيعبرون منها إلى الفرات ثم يدخلون قناة نهر عيسى التي تصل نهر الفرات بدجلة، ويصلون مباشرة عن طريق هذه القناة إلى أرصفة بغداد(142).

وقد يسلك يهود ناربونة طريق الأندلس إلى الممرات الجبلية التي تقطع جبال البيرنية، أو عن طريق البحر حتى طرطوشة، ومن هناك يتجهون إلى إفريقية، لكنهم قد يقصدون بغداد مباشرة عن طريق موانئ الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وأخيراً هناك طريق المحيط الأطلسي الذي تنطلق منه إلى انجلترا وتصل الأرموريك(143) "Armoric" وخليج بسكونية، ثم إلى الموانئ الإسلامية الواقعة على المحيط الأطلسي: لشبونة وقصر أبي دانس(144) حيث ينزل الرقيق وشحنات القصدير والفراء والسيوف(145).

الخاتمة

لقد كانت الدولة الإسلامية تمثل شريان الحياة التجارية التي تمر عبر أراضيها تجارة بلاد الصين والفرس والروم، واصبحت بغداد من أهم المراكز التجارية وذلك لدورها الحيوي الذي لعبته كنقطة مركزية لسريان الحركة التجارية. وكان اهتمام وحرص الخلفاء العباسيون بتيسير كافة الطرق البرية والبحرية من الصعاب والعقبات دوراً كبيراً في ازدهار التجارة، التي قامت على تبادل المحاصيل. ليس فقط هذا، بل إن عناية الخلفاء مهدت السبيل للرحالة، الذين كثرت رحلاتهم، فوصفوا البلاد وصفاً

دقيقاً معتمداً على المشاهدة، ذلك الوصف المتعلق بالطرق البرية والبحرية التي كانت خير معين للتجار في رحلاتهم، وصارت بمثابة حلقة الوصل التي تربط بين مدن الخلافة بعضها البعض من جهة، وتربط بغداد بالعالم الخارجي من جهة أخرى.

لقد خضعت الطرق التجارية لتصريف وجلب بضائع الشرق الأقصى معظمها للنفود الإسلامي مما اضطر بيزنطة إلى طلب الصلح والمهادنة من الخلفاء حتى تضمن سلامة طرق مواصلاتها إلى الشرق الأقصى، ساعدت كل هذه الاعتبارات على تحسين العلاقات بين الدولتين وزاد التبادل التجاري، الأمر الذي دفع بيزنطة إلى إقامة وكالتين في القسطنطينية للتجارة العربية إحداهما لتجارة الحرير الفاخر، والأخرى لتجارة التوابل والعطور.

لقد كانت العلاقات التجارية في غاية الأهمية بالنسبة للدولة البيزنطية، إذ لم تكن تقتصر أهميتها على الناحية التجارية فحسب، بل كانت تعزز مكانتها الدولية كوسيط تجاري. فكان أكثر تجارة الشرق الإسلامي تنقل إلى أوروبا عن طريق بيزنطة التي تجني من وراء ذلك دخلاً عظيماً بفضل قيامها بدور الوسيط بين الشرق والغرب.

وأخيراً نجد أنه مهما يكن من أثر التقلبات السياسية وتعقدها، فإن التجارة استمرت وازدهرت وكان نموها في إطراد، فهي منشأ العلاقات بين الدول، وإليها يرجع الفضل في إيجاد الاتصال بين الشرق والغرب بصورة مستمرة. لهذا يتضح أن حاجة الدولتين إلى تبادل المنتجات، فرض عليهما إقامة علاقات تجارية، كان لها دوراً في تخفيف حدة الصراعات القائمة بينهما، ذلك الصراع الذي لم يقف حائلاً دون استمرار التبادل التجاري.

الهوامش

(1) فازيليف: أ. أ. العرب والروم، ترجمة : محمد عبد الهادي شعيرة، ((القاهرة، دار ا لفكر العربي، 1934))، ص17.

(2) اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر، البلدان، ملحق بكتاب الأعلاق النفيسة لأبن رستة، ((ليدن، مطابع باريل، 1891م))، ص 237، ص 238.

(3) تامرا : اسم سرياني: هو أحد فروع نهر دجلة الرئيس ويعرف بالفارسي جوروان فعرب فقيل نهروان. انظر : جمال بابان، أصول أسماء المدن و المواقع العراقية، ج1، ((بغداد، مطبعة المجمع العلمي الكردي، 1976)). ص 179، ص335.

(4) محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية ((القاهرة، دار السعادة، 1960)) ص 162.

(5) موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول، ت . إسماعيل العربي، ط3 ((الرباط، دار الأفاق الجديدة، 1990)) ص 20، ص 21، ص22

(6) القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، حققه عبد القادر زكار، ج5، ((دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية، 1983))، ص474، ص 475 .

(7) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ج2 ((القاهرة، دار الكتاب العربي، 1966)) ص 131.

(8) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج1، ط10، ((القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، 1986)) ص 151.

(9) حسين مؤنس، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، ط2 ((القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1986)) ص 56

(10) ليسترانج جاي، بلدان الخلافة الشرقية، ت. بشير فرنسيس وكوركيس عواد ((بغداد، مطبعة الرابطة، 1954)) ص 38، ص160، ص 162. انظر أيضاً :عليه عبد السميع الجنزوري، الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية، ((القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، 1979)) ص 12، ص13

(11) A.A.Vasilive, History of the By zantine Empire, vol 1 , ((The uni.of wisconsin press , 1958)), p 276

(12) المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، (ليدن، مطابع بريل، 1906)، ص147.

(13) أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ج19 ((بيروت، دار الصاعد، 1966)) ص 72

(14) الهمذاني، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الفقيه، بغداد مدينة السلام، حققه : صالح أحمد العلي، ط1، (بغداد، سلسلة التراث، 1977)، ص 54 . وانظر أيضاً: ابن الخطيب: أبو بكر أحمد بن ثابت بن أحمد، تاريخ بغداد، ج3، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ب-ت) ص 91، 92.

(15) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، شذور العقود في ذكر النقود (النقود الإسلامية)، حققه : محمد بحر العلوم، ط6، (بيروت، دار الزهراء، 1988)، ص 93.

(16) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج9، (بيروت، دار القاموس الحديث، ب-ت)، ص 347.

(17) المقريزي، المصدر السابق، ص93.

(18) الطبري، تاريخ الأمم، ج9، ص 98، ص 99 .

(19) المصدر السابق نفسه، ج10، ص 283

(20) المقدسي، المصدر السابق، ص 147

(21) لومبار، المرجع السابق، ص39-40

(22) المرجع السابق نفسه، ص194

(23) المرجع السابق نفسه، ص195

(24) محمد فتحي الشاعر، الصلات الحضارية بين بيزنطة والشرق الإسلامي في القرنين الثامن والتاسع الميلادي، ((القاهرة، المكتبة الكبرى، 1989))، ص22.

(25) ريجار دكوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة: فؤاد جميل ومصطفى جواد، ج1، (بغداد، مطبعة شفيق، 1962)، ص69

(26) عبد الجبار الجومرد، هارون الرشيد، ج1، ((بيروت، دار الكتب، 1956))، ص197، ص198

(27) كوك، المرجع السابق، ج1، ص 69

(28) الجومرد، المرجع السابق، ج1، ص 198 .

(29) البلاذري، المصدر السابق، ج2، ص 362

(30) لومبار: المرجع السابق، ص334

(31) محمد حسن عبد الكريم العماري: التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن 4هـ، (عمان، دائرة المكتبة الوطنية، 1997)، ص303

(32) المرجع السابق نفسه، ص273

(33) عمر بن بحر الجاحظ: التبصر بالتجارة، حققه حسن حسني عبد الوهاب، ط2، (بيروت، دار الكتاب الحديد 1983)، ص7.

(34) المقدسي، المصدر السابق، ص22.

(35) لومبار: المرجع السابق، ص334.

(36) بلات: شارل بلات: الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة إبراهيم الكيلاني، (دمشق، دار اليقظة العربية، 1961)، ص230.

(37) السيد عبد العزيز سالم: بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة،(بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1991)، ص147.

(38) المرجع نفسه، ص 138.

(39) لومبار: المرجع السابق، ص212

(40) المرجع السابق نفسه، ص212

(41) سالم: المرجع السابق، ص 139.

(42) لومبار: المرجع السابق، ص 212.

(43) سالم: المرجع السابق، ص 128.

(44) ياقوت الحموي: شهاب الدين بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، ج8، (بيروت، دار بيروت، 1955)، ص42

(45) الأدريسي: أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، حققه. ر.ر. بنتاتشي وآخرون، ج2، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية 1960)، ص196

(46) ميافارقين: مدينة تقع في أعالي الفرات. أنظر: ابن حوقل: أبوالقاسم محمد، صورة الأرض، (ليدن، مطابع بريل، 1967)، ص209

(47) أرزن: مدينة أرمينية، هي أرصوم الحالية. أنظر: المصدر نفسه، ص300.

(48) المصدر السابق نفسه، ص302.

(49) سالم: المرجع السابق، ص128.

(50) لومبار: المرجع السابق، ص19.

(51) سالم: المرجع السابق، ص218.

(52) المرجع السابق نفسه، ص220.

(53) أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت، دار النهضة، ب.ت)، ص164.

(54) لومبار: المرجع السابق، ص95.

(55) عزيز سوريال عطية: العلاقات بين الشرق والغرب ترجمة: فيلب صابر سيف، (القاهرة، دار الثقافة 1972)، ص 24.

(56) لومبار، المرجع السابق، ص 339.

(57) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، 1969)، ص 531.

(58) عفاف السيد صبره، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية في زمن شارلمان، ((القاهرة، دار النهضة العربية، 1982))، ص 203 .

(59) سوريال، المرجع سابق، ص 169 .

(60) المقدسي، المصدر السابق، ص 148 .

(61) Diehl, Byzantium: greatness, p 71.

(62) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج8، ص 42 .

(63) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 295 .

(64) لومبار، المرجع السابق، ص 339

65 المرجع السابق نفسه، ص 202-203

(66) أرشيبالد ر. لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، (القاهرة، مؤسسة فرانكلين، 1960)، ، ص 140، ص 141.

(67) المرجع السابق نفسه، ص 189

(4) القزويني، المصدر السابق، ص537

(68) Diehl , Byzantium: greatness, P71

(69) عبد الرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، الملحق الرابع من كتاب الحسبة في بيزنطة صنفه الإمبراطور ليو السادس، حققه السيد الباز العريني ((بيروت، دار الفكر، ب-ت)) ص 154.

(70) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ت . محمد عبد الهادي أبوريده، ج2، ط4 (بيروت، دار الكتاب العربي، 1967) ص 387

(71) الشيزري، المصدر السابق، الملحق الرابع من كتاب الحسبة في بيزنطة، ص 155

(72) محمد بن محمد القرشي المعروف بابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، نقله روبن ليوي، (كمبردج، دار الفنون، 1937)

(73) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ((القاهرة، المطبعة المحمودية التجارية، 1960)) ص 232، ص 233، ص244

(74) ابن الأخوة، المصدر السابق، ص 219، انظر أيضاً : ابن بسام المحتسب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، حققه حسام الدين السامرائي (بغداد، مطبعة المعارف، 1968) ص 18

(75) المصدر السابق نفسه، ص 18، ص 20

(76) الشيزري، المصدر السابق، الملحق الرابع من كتاب الحسبة في بيزنطة، ص 137، ص 141، ص 143، ص 162 .

(77) أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، حققه البشري الشوربجي، ط1 (القاهرة، مكتبة الكليات الازهرية للنشر، 1977) ص 70 .

(78) الشيزري، المصدر السابق، الملحق الرابع من كتاب الحسبة في بيزنطة، ص 135 .

(79) سونياهاو: في طلب التوابل، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1957)، ص18.

(80) الشيزري: المصدر السابق، المحلق الرابع من كتاب الحسبة في بيزنطة، ص135

(81) سوريال: المرجع السابق، ص187

(82) لومبار: المرجع السابق، ص340

(83) العماري: المرجع السابق، ص345

(84) سونياهاو: المرجع السابق، ص22، ص23

(85) المرجع السابق نفسه، ص 18.

(86) أبو قلمون: لفظ يوناني معرب، ثوب رومي يتلون ألواناً للعيون. أنظر: الجاحظ، المصدر السابق، ص30.

(87) ابن حوقل: المصدر السابق: ص 332.

(88) إدوارد بروي: تاريخ الحضارات العام "القرون الوسطى" ترجمة: أسعد وفريد واغر، ط1، (بيروت، منشورات عويدات، 1965)، ص 192 .

(89) لومبار، المرجع السابق، ص294، ص 295 .

(90) المرجع السابق نفسه، 258، ص 259 .

(91) لويس، المرجع السابق، ص 179 .

(92) لومبار، المرجع السابق، 340 .

(93) شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، ط1، (طرابلس منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1987)، ص200

(94) ابن سلام: أبو عبيد القاسم، الأموال، حققه محمد خليل هراس، ط3، (القاهرة، دار الفكر، 1981)، ص237

(95) المقريزى: أبو العباس أحمد بن علي، الخطط المقريزية، ج1، (القاهرة، مطبعة الحلبي، ب – ت)، ص111

(96) المقدسي: المصدر السابق، ص 133.

(97) العدوي، الإمبراطورية البيزنطية، ص 117، ص118.

(98) ستيفن رانسيمان: الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز جاويد (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1961)، ص205

(99) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، المحلق الثاني من كتاب الإسلام وبيزنطة، أ. أفازيليف، ط2، (القاهرة، الدار القومية للنشر، 1957)، ص165، ص166

(100) الشيزري: المصدر السابق، الملحق الرابع من كتاب الحسبة في بيزنطة، ص154.

(101) ابن رستة: أبو علي أحمد بن علي، الإعلاق النفيسة، مج7، (ليدن، مطابع بريل، 1891)، ص185، ص186.

(102) سوريال: المرجع السابق، ص 169.

(103) البكري: أبو عبيد الله، المغرب في ذكر أفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، (بغداد مكتبة المثني، ب – ت)، ص30

(104) الاصطخري: المصدر السابق، ص 50.

(105) ج.ف.ب- هو بكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ترجمة: أمين توفيق الطيبي، (طرابلس، الدار العربية للنشر، 1980)، ص93 .

(106) لومبار: المرجع السابق، ص 305.

(107) مؤنس: المرجع السابق، ص15.

(108) لومبار: المرجع السابق، ص309، ص310.

(109) المرجع السابق نفسه، ص 305، ص 307.

(110) الشيزري: نهاية الرتبة، الملحق الرابع من كتاب الحسبة في بيزنطة، ص142.

(111) لومبار : المرجع السابق، ص 307، ص 308.

(112) الشيزري: المصدر السابق، الملحق الرابع من كتاب الحسبة في بيزنطة، ص142.

(113) لومبار: المرجع السابق، ص 309، ص 310 .

(114) المرجع السابق نفسه، ص 314.

(115) بروي: المرجع السابق، ص192.

(116) ابن خرداذبة: أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عبد الله، المسالك والممالك، باعتناء ذي خويه، (ليدن، مطابع بريل، 1889)، ص153

(117) لومبار: المرجع السابق، ص315. أنظر أيضاً:

C. Versioned (Les Radaniya: Intermediaries Commerciaux enter Les mondes Germano – Slave et Greco - Arabe) In Graeco – Arabica, Vol VI (Athens, 1995), PP 112 : 119.

(118) لويس : المرجع السابق، ص 64.

(119) أرثا: مدينة في روسيا يسمى أهلها الأرثانية، ويقيم ملكها بأرثا، أنظر: د.م دنلوب: تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، ط2، (دمشق، دار حسان للنشر، 1990)، ص146

(120) ابن حوقل: المصدر السابق، ص332، ص336

(121) الاصطخري: المصدر السابق، ص130

(122) بلاد البرطاس: أمة متأخمة للخزر، وهم قوم يقطنون وادي أثل ATL. وبرطاس اسم الناحية. أنظر: دنلوب، المرجع السابق، ص143

(123)الخلنجي: المقصود الفراء البني الذي يشبه لونه خشب الخليج وهو نوع من الشجر. أنظر: الجاحظ، المصدر السابق، ص28.

(124)المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والإشراف، حققه عبد الله إسماعيل الصاوي (بيروت، مكتبة خياط، 1965)، ص55

(125) لويس: المرجع السابق، ص185، ص265

(126)عبد العزيز الدوري: (الجغرافيون العرب وروسيا)، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 13، (بغداد، دار المجمع العلمي العراقي، 1966)، ص11، ص12

(127) Diehl, Byzantium: greatness, p70

(128) نقولازيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، (بيروت، الدار الأهلية للنشر، 19802)، ص 204، ص205.

(129) Charkec Diehl; Byzantium: greatness and Secline, tr. By walford "NewBrun swick NI. 1957, p70.

(130) لويس : المرجع السابق، ص 178.

(131) المرجع السابق نفسه، ص 178.

(132) مؤنس : المرجع السابق، ص 179.

(133) لويس: المرجع السابق، ص 179.

(134) ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص 154، ص 155.

(135) R. B. SERJEANT, Islamic textiles, printed in Lebanon, 1972, p119.

(136) ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص 154، ص 155.

(137) المصدر السابق نفسه، ص 155.

(138) النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1923)، ص 241.

(139) صلاح البكري: في جنوب الجزيرة العربية، ط1، (القاهرة، مطبعة الحلبي، 1949)، ص53.

(140) ابن خرداذبه: مصدر سابق، ص 61.

(141) المصدر السابق نفسه، ص 153.

(142) المصدر السابق نفسه، ص 154.

(143) الأرموريك: تشمل فرنسا ومقاطعة بروطانيا.

(144) قصر أبي دانس: يقع في جنوب البرتغال.

(145) لومبار: المرجع السابق، ص 347، ص 348.